

محبة أصحاب النبي ﷺ

شاهد على صدق محبته ﷺ

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(حول تفسير سورة الكوثر)

من الصفحة ١٥٤ حتى الصفحة ١٦٢

للسُّيُّورِ الْإِمَامِ
عَبْدِ اللَّهِ سَرَاجِ الدِّينِ الْحَسِينِيِّ
بَنَاءً عَلَى تَوْجِيهَاتِ وَلَدِهِ
الْمُهَنْدِسِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ مُحَيَّيِ الدِّينِ سَرَاجِ الدِّينِ
رَحْمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَضَى عَنْهُمَا

ويُمْكَنُ تَحمِيلُ هَذِهِ الْأَبْحَاثُ الْقِيمَةُ
وَتَحمِيلُ جَمِيعِ كُتُبِ الشَّيْخِ الْإِمامِ
مِنْ مَوْقِعِهِ الرَّسْمِيِّ وَالْوَحِيدِ

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ إِمْنَاهُ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ^(١) مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ - هذا وعد من الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، ولا ينقض عهده .

وفي هذا دليل على عظيم فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وعلوّ منزلتهم وكرامتهم عند الله تعالى ، لأنّهم أصحاب رسول الله صلى

(١) ومن هنا للبيان لا للتبييض ، كما هو مبين في مطولات التفاسير مع الأدلة .

الله عليه وعلى آله وسلم، وإنَّ فضل الصحابة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا يُنال إلا بشرف صحبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه (الإصابة):

روى البزار في (مسنده) بسنده رجاله موثقون، من حديث سعيد بن المسيب، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ الله اختار أصحابي على الثقلين، سوى النبئين والمرسلين».

والمراد بالثقلين هنا الإنس والجن.

قال الله تعالى: ﴿سَنَرْفُ لَكُمْ أَيْهَا الثَّقَلَانِ﴾ أي: الإنس والجن.

فمحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي من العلامات الدالة والشاهدة على صدق المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنهم أصحابه وأحبابه؛ وقد مدحهم الله تعالى، وأثنى عليهم، وأوصى بهم كما تقدم في الأحاديث.

روى ابن أبي شيبة، والبزار، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهمما في قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أُصْطَفَيْتُ﴾ قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اصطفاهم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. اهـ كما في (الدر المثور) وغيره.

وروى ابن جرير، وعبد بن حميد، عن سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أُصْطَفَيْتُ﴾ قال: نزلت في أصحاب

سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة. اهـ كما في (الدر المنشور).

وذكر الحافظ ابن حجر في (الإصابة) بالسند عن سفيان الثوري أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَّ﴾ قال: هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. اهـ.

وروى الفقيه الحافظ ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) بسنده منه إلى عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، خير قلوب العباد - أي: كلهم - فاصطفاه وبعثه برسالته - أي: العامة - ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد^(١) فجعلهم وزراء نبيه - أي: أنصاره وأعوانه - يقاتلون عن دينه). اهـ

وقد أورد هذا الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) بزيادة:

(فما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئاً). اهـ

ثم قال في (مجمع الزوائد): رواه أحمد والبزار، والطبراني في (الكبير) ورجاله موثقون. اهـ

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد) إلى آخره - هذا إخبار عن أمر غيب لا يدرك بالرأي، ولا

(١) أي: ما عدا النبيين والمرسلين، كما دل على ذلك حديث البزار المتقدم.

يُعلم إلا من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أطلعه الله تعالى على المغيبات - فكلام ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم له حكم المرووع كما هو مقرر في علم المصطلح.

هذا وإنَّ فضل صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينال بكترة العمل الصالح، بل لا ينال فضل تلك الصحبة إلا بالصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاء في الحديث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشر، فقالوا له: مَنْ العاشر؟

فقال: «سعيد بن زيد» - يعني نفسه - .

ثم قال سعيد: (والله لأشهدُ رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَغَيَّرَ فيه وجهه خير من عمل أحدكم - يخاطب التابعين - عُمرَه ولو عُمْرُ عُمر نوح).

رواه أبو داود وهذا لفظه، والترمذى كذا في (التسير)، ورواه الإمام أحمد والضياء وغيرهم.

وقد أثني الله تعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين، ومدحهم، وشهد لهم بالإخلاص والصدق، ثم أثني على الأنصار، وذكر خصالهم الصريرة ومدحهم:

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَفَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ﴾.

فتركوا الديار والأموال يتغون فضلاً من الله ورضواناً، وفي هذا شهادة بإخلاصهم لله تعالى، كما أنهم تركوا الديار والأموال نصرة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أولئك هم الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفي عهدهم مع الله تعالى ومع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكفاهم فضلاً وشرفاً أنَّ الله تعالى شهد لهم بالإخلاص، وشهد لهم بالصدق، وسجل ذلك في كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أثني الله تعالى على الأنصار فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

التبوء هنا هو التمكן والاستقرار، والإقامة في الأماكن، والمراد بالدار هنا المدينة المنورة، وتسمى طيبة، وطابة، ولها أسماء مباركة كثيرة.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ﴾ المراد بهم الأنصار، فإنهم استوطنووا المدينة المنورة قبل المهاجرين إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ منصوب بفعل مذوف أي: وأخلصوا الإيمان والتزموا، وعلى هذا التأويل يكون: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ متعلقاً بفعل تبوءاً، والمعنى: والذين تبوا الدار - أي: المدينة المنورة -

من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمان والتزموا.

ويجوز أن يكون ذلك من باب التضمين - أي: ضمن فعل تبؤوا معنى لزموا، أي: لزموا الدار ولزموا الإيمان، فلم يفارقوهما^(١).

قال العلامة القرطبي: ليس يريد - أي: ليس المراد - أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين، بل المراد أن الأنصار آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم. اهـ.

وقد نقل العلامة المفسر القرطبي، والعلامة الخطيب، وغيرهما من المفسرين عن ابن وهب أنه قال: سمعت مالكاً يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: (إن المدينة تُبُوتَ بِإِيمَانَ وَهِجْرَةِ)، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

ويرحم الله تعالى القائل:

لطيبة عرج إن بين قبابها حبيباً لأدواء القلوب طيب إذا لم نطب في طيبة عند طيب به طابت الدنيا فأين نطيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال عبد الله يغفر الله تعالى له: - وهو في طيبة على مطئيها
أفضل الصلاة والسلام:

يا قلب بشراك أيام الرضا رجعت
من طيبة وبروق الحب قد لمعت
قلوب عشاقه من نورها انصدعـت
ما كنت تـسألـه فالسـحبـ قد هـطلـتـ

أـماـ تـرىـ نـفحـاتـ الطـيـبـ قدـ عـبـقـتـ
وـاـشـهـدـ جـمـالـ الذـيـ منـ أـجـلـ طـلـعـتـهـ
وـافـرحـ بـفـضـلـ الذـيـ أـعـطاـكـ مـكـرـمةـ

(١) انظر (تفسير) القرطبي و(تفسير) الخطيب وغيرهما.

فعُشْ سعيداً بوصِلِ غير متقطع مع من تُحب وحُجبَ الْبَعْدَ قد رُفعت
وأقراً السلام قريباً عن مشاهدة شمسَ الْوِجُودِ التي أنوارها بهرت
صلى الله عليه وآلِه وسَلَّمَ تسلیماً

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

في هذا بيان من الله تعالى فضل الأنصار، وشرفهم وكرمه، ومدح لهم، فإنهم من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين إليهم، حباً شديداً إيمانياً، ويحسنون إليهم، ويواسونهم بأموالهم، ويبذلونها لهم، ويُكفُّونَهم جميع المؤونة.

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن موساة في قليل، ولا أحسن بَدلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهاجرة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلهم.

فقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا - ما أثنيتم عليهم ودعوتُم الله لهم».

والمعنى: أن أجراكم محفوظ لكم، وأجرهم محفوظ لهم عند الله تعالى، ما دمتم تُشنون عليهم، وتدعون الله تعالى لهم.

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دعا النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. قالوا: لا - إلَّا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها؟.

قال: «إِمَّا لَا؛ فاصبروا حتى تلقوني - أَيْ: على الحوض - فِإِنَّهُ سِيَصِيبُكُمْ أثْرَةً».

وفي رواية: قال صلى الله عليه وعلي آله وسلم للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني، وموعدكم الحوض»^(١).

يقال: استأثر بالشيء إذا استبدَّ به، والاسم الأثرة.

والمعنى: أنكم يا معشر الأنصار، أهل الإيثار، وسترون أهل الاستئثار.

قال في (النهاية): الأثرة بفتح الهمزة والثاء، والاسم من أثر يؤثر إذا أعطى - أراد صلى الله عليه وآلله وسلم بقوله للأنصار: «ستلقون بعدي أثرة» أراد أنه يُستأثر عليكم، فيفضل غيركم في نصيه من الفيء، والاستئثار الانفراد بالشيء. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

والمعنى أن الأنصار يحبون المهاجرين لأنهم هاجروا إلى الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وعلي آله وسلم، فهم يحبونهم حباً في الله ورسوله صلى الله عليه وآلله وسلم، وفي هذا تنبيه من الله تعالى، وإرشاد للمؤمنين أن يكونوا متحابين، متعاطفين، متعاونين، كما وصفهم الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِعِصْمَهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ﴾ - أي: أحباب وأنصار - ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ - فهم متناصحون - ﴿وَيُقْيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ الْأَلَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقال صلى الله عليه وعلي آله وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم

(١) انظر مناقب الأنصار في (صحيح) البخاري.

وتراحهم وتعاطفهم: مثل الجسد، إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» الحديث كما تقدم.

وهذا التحابب العامُّ واجب على كل مؤمن ومؤمنة؛ كما تقدم في الآية الكريمة.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم: «ألا أدلـكم على شيء إذا فعلتموه تحابـتـم؟ أفسـوا السلام بينـكم»^(١).

وهناك التحابـب في الله تعالى الخاصـ بـ بينـ المتحابـينـ، فوق التحابـب العامـ بـ بينـ جميعـ المؤمنـينـ، فالـأولـ هو مـوجبـ الأخـوة الإيمـانـيةـ العـامـةـ بـ بينـ المؤمنـينـ، والـثانيـ هو مـوجبـ الأخـوة الإيمـانـيةـ الخـاصـةـ، بـ بينـ الـذينـ تـآخـواـ فـيـ اللهـ تـعـالـىـ، ولـهـ حـقـوقـ فـوقـ حـقـوقـ الأخـوةـ العـامـةـ^(٢).

(١) قال في (الترغيب): رواه مسلم، وأبو ذاود والترمذى وابن ماجه. اهـ وقد تقدم.

(٢) انظر كتابي: (حول تفسير سورة الحجرات) فـهـنـاكـ التـفـصـيلـ.